بسم الله الرحمن الرحيم

الدرس: 78 **الأستاذ: سماحة العلامة الشيخ معين دقيق**

الدرس: تفسير القرآن الكريم **المبحث: سورة الإنسان**

التاريخ:16\04\2024 م **كتبه: عبدالله ضيف الستري**

ما زال البحث في بين الإنزال والتنزيل –وقد أطلت في البحث في هذا المطلب فأحاول أن ألخص المطلب لكي ننتهي منه عما قريب إن شاء الله– تقدم بعض الأمور عن الدكتور محمد شحرور في كتابه الكتاب والقرآن قراءة معاصرة، وفرّق فيه بين التنزيل والإنزال.

يوجد في كلامه موارد للمؤاخذة:

أولاً: ينبغي أن نلتفت إلى أننا نسلم معه في أنه بمجرد وجود نص معصوم –أي من الكتاب أو السنة– للتفريق بين مفردتين لا يكفي ما لم نفهم فهماً دقيقاً، فهذا أمر حق، فلا يمكن لعاقل أن ينازع فيه.

لا بد أن يتناسب التفريق من خلال نص المعصوم مع العقل والمنطق وينطبق على الواقع الخارجي.

لكن أكثر ما ذكره في سياق تفريقه هو –في الواقع– يرجع إلى استحسانات ووجوه ظنية لا قيمة لها في مجال البحث العلمي –كما سوف نثبت ذلك– وليس هذا مجرد دعوى.

فالمثالان اللذان ذكرهما في ابتداء تفريقه بين الإنزال والتنزيل، حيث كان المثال الأول نقل المباراة من المكسيك إلى الشام، وكان المثال الثاني نقل الجبل على خريطة من بلد إلى آخر.

هذا الأمر لا ربط له بما نحن فيه لا من قريب ولا من بعيد؛ وذلك لأن التفريق بين مفردتين لغويتين، وهذا له طرقه. تارة يكون التفريق من ناحية مقاربة نصوص اللغة، وأخرى يكون التفريق من خلال مقاربة الاستعمالات، فإذا تريد التفريق بين مفردتي العرش والكرسي، فالعرش مفردة عربية والكرسي مفردة عربي، فترق بينهما إما بالمقاربة اللغوية فترجع إلى أقوال أئمة اللغة، وإما من خلال تتبع الاستعمالات الكثيرة في كلمات العرب وأشعارهم ونثرهم ومنظومهم لتستنتج عدم وجود فرق بين العرش والكرسي أو يبوجود الفرق.

فالتفريق يكون بمقاربة لغوية أو بمقاربة استعمالية أو من خلال المقاربة عن طريق النصوص التعبدية، فيما لو لم نتمكن -مثلاً- أن نحسم الأمر من خلال اللغة والاستعمال، فيأتينا نص نتعبد به، فيقول لنا العرش والكرسي بمعنى واحد أو العرش والكرسي كل واحد له خصوصية.

لا يوجد في المثالين المذكورين استعمال لمفردة الإنزال والتنزيل. مثلاً لو أن الخليل بن أحمد الفراهيدي أطلق على مثال نقل المباراة تنزيلاً، وعلى مثال رسم الجبل على خريطة إنزالاً أو العكس، فنبحث عن خصوصية هذين الموردين، وعلى أساسه نفرّق بين الإنزال والتنزيل.

أما مجرد شيء خارجي لا ربط له باستعمال المفردتين، فهذا لا ينفع في التفريق بينهما. فلو سلمنا ما ذكر في المثالين الخارجيين، فمن قال إن العرب واللغة العربية تستعمل هنا التنزيل وتستعمل هناك الإنزال.

فإذاً مجرد مقاربة خارجية واقعية لا تنفعنا للتفريق بين المفردتين ما لم تستعمل المفردتان في هذين المثالين.

لذا أقول إن ما ذكره من هذه المقاربة الواقعية لا ربط لها بما نحن فيه لا من قريب ولا من بعيد، بل أكثر من ذلك، فلو أن جاء عربي حديث واستعمل في المثالين مفردة الإنزال التنزيل، فلا أحد يفهم عليه.

فإذاً في المثالين لا يوجد استعمال في اللغة ولا في العرف ولا في النصوص إطلاق للتنزيل والإنزال في موردهما لنتخذه شاهداً على ما يتبناه من التفريق بين الإنزال والتنزيل، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية -مع قطع النظر عن هذا الإشكال- لم يتضح لنا وجه كون المثال الأول -نقل المباراة- مما تقدم فيه التنزيل على الإنزال، وأن المثال الثاني مما تقدم فيه الإنزال على التنزيل.

فهو في المثال الأول قال التنزيل فيه تقدم على الإنزال، والمثال الثاني الإنزال تقدم على التنزيل؛ وذلك لأن التنزيل في آخر البحث -بحسب تصريحه- هو ما يحصل خارج الوعي الإنساني، فلو أريد منه خارج الوعي الإنساني للمنزل له فالتنزيل سابق في كلا المثالين، في مثال نقل المباراة وفي مثال نقل الجبل.

ولو أريد ما يشمل ذات المنزِّل فلا نسلم أن النقل بالأمواج هو خارج عن وعي المنزل المختص، فالمنزل المختص الذي يعرف بعملية البث وما شابه ذلك، فهذا الأمر ليس خارجاً عن وعيه.

فإذاً هذان المثالان:

أولاً: لا ربط لهما من قريب ولا من بعيد بما نحن فيه.

ثانياً: ما ذكره من تقدم التنزيل على الإنزال في أحدهما وتقدم الإنزال على التنزيل في الآخر لا وجه له.

ثالثاً: استنتج من ضرورة الوجود المستقل والمنحاز للمنزل -مع قطع النظر عن التنزيل والإنزال- إلغاء البحث عن أسباب النزول.

فإذا تطالعون كلامه بعد أن أثبت بأنه لابد من أن يكون هناك وجود مستقل في اللوح المحفوظ في القرآن الكريم، مع قطع النظر عن الإنزال والتنزيل، واستدل على ذلك بالآيات الناظرة إلى أم الكتاب، رتب على ذلك حينئذ لا أثر للبحث عن أسباب النزول؛ لأن هذه الآيات لها وجود مستقل سابق.

هذا أمر غريب، فإن كلاً من الاستنتاج والاستشهاد محل كلام. أما الاستنتاج؛ فباعتبار أن أسباب النزول لا ربط لها بالوجود السابق للقرآن الكريم، أعني الوجود في اللوح المحفوظ.

فتارة نتكلم عن القرآن الكريم في اللوح المحفوظ، الكتاب المكنون، الإمام المبين، فهذا له وجود مستقل منحاز سابق على عملية الإنزال والتنزيل. لكن أسباب النزول لا ترتبط بهذه المرحلة، أسباب النزول ترتبط بمرحلة ﴿وَقُرْآناً فَرَقْناهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلى مُكْثٍ﴾[1] فأسباب النزول مرتبطة بالنزول التدريجي للقرآن الكريم، الآيات لها وجود مستقل في اللوح المحفوظ، ونزلت نزولاً دفعياً على قلبه ﷺ، لكن عندما أبلغت للناس أبلغت في مدة ثلاثة وعشرين سنة.

وفي مدة ثلاث وعشرين سنة نزلت هذه الآية ولم تنزل تلك الآية؛ وذلك لسبب ومناسبة، فأسباب النزول ترتبط بهذه المرحلة. مجرد أن نلتزم بأن القرآن الكريم له وجود مستقل ومنحاز في اللوح المحفوظ وفي الإمام المبين وفي الكتاب المكنون، لا يلغي الحديث عن أسباب النزول؛ لأن أسباب

[1] الإسراء: 106

النزول لا ترتبط بهذه المرحلة، بل ترتبط بالنزول التدريجي في مدة ثلاثة وعشرين سنة بحسب مناسباتها، بل لابد منها.

هذا التفريق على ثلاث وعشرين سنة ليس اعتباطياً، فنزول قوله تبارك وتعالى: ﴿أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَات﴾[2] لابد له من سبب ومناسبة، فنقول مناسبة النزول هو تصدق أمير المؤمنين عليه السلام قبل أن يناجي رسول الله صلى الله عليه وآله، وأن الصحابة استصعبوا ذلك، فنزلت هذه الآية.

فهذا الأمر ليس اعتباطياً، فالرسول صلى الله عليه وآله عندما فرق هذه الآيات على ثلاث وعشرين سنة لابد أن يكون هناك مناسبة عندما تنزل هذه الآية المباركة، وهذا لا ربط له بالوجود المستقل والمنحاز في اللوح المحفوظ وفي الكتاب المكنون وفي الإمام المبين.

[2] المجادلة: 13